

تحقيق،

«غضب الله» يُنضج خوخ الضنية في كانون

شراء المرء خضراً صيفية في فصل الشتاء، أمر أصبح طبيعياً منذ اكتشاف الخيم البلاستيكية. لكن قطف فواكه صيفية في التشرينيين وحتى في كانون، هو غير العادي، ها هو يحصل في بعض المناطق ومنها الضنية



باع المزارع كيلو الخوخ الكانوني بعشرة آلاف ليرة (الأخبار)

عبد الكافي الصمد

«باع جارنا كيلو الخوخ الأحمر في بيروت بمبلغ عشرة آلاف ليرة!». بهذه العبارة يروي نقولا الشامي، من بلدة حقل العزيمة في الضنية، والدهشة والبهجة ترسمان على وجهه، كيف أن جاراً له قطف في «عرّ تشارين» نحو 5 كيلوغرامات من ثمار الخوخ الأحمر، وأنزلها إلى صاحب أحد محال بيع الخضّر والفاكهة في العاصمة، عارضاً عليه فاكهة صيفية على أبواب فصل الشتاء، فما كان من الزبون الذي وجد أن السلعة «لقطة»، إلا أن اشترى منه غلته كلها، بعدما فاوضه على سعرها، الذي استقرّ على عشرة آلاف ليرة عدّاً ونقدّاً للكيلوغرام الواحد!

ما يرويه الشامي ليس سوى حالة من مئات الحالات المشابهة التي شهدتها قرى وسط الضنية وساحلها أخيراً بنحو واسع ومفاجئ، لكونها تشتهر بزراعة الفواكه الصيفية على اختلافها، ومنها الخوخ الأحمر أو «البكري» كما يطلقون عليه، لأنه ينضج ويُقطف في أواخر الربيع من كل عام، قبل أي نوع آخر من أنواع الفواكه.

لكن هذه المفاجأة التي تناقلها المزارعون كأنها عجيبة من عجائب الطبيعة، كانت لسببين: الأول أنه في هذا العام كانت ثمار الفاكهة «الرجعية»، أي التي تبرز وتنضج عادة في مثل هذه الأيام من كل سنة إنما بنحو قليل جداً، قد تجاوزت التوقعات في الحالات الاعتيادية، وأصبحت أشجارها تحمل ثماراً كما لو أنها في عزّ الموسم.

عماد إبراهيم، من بلدة بخعون، يوضح في هذا السياق أن والده «يجلب معه من بستانه إلى البيت يومياً أكثر من

كيلوغرام من الخوخ، ويعرضه أمامنا»، ويشير في موازاة ذلك إلى أن «أشجاراً كثيرة في بستاننا قد أزهرت وبدت كأنها في فصل الربيع». أما السبب الثاني للمفاجأة، فهو أن سعر كيلوغرام الخوخ من «الباب الأول» الذي كان لا يباع في موسمه بأكثر من 4 آلاف ليرة، بات يباع اليوم حتى لو كان لا يزال أخضر، أي فجأ، بما بين 3 و7 آلاف ليرة تقريباً).

هذا التطور غير الطبيعي الذي نتج من انقطاع الأمطار لفترة طويلة، وارتفاع درجات الحرارة بنحو غير معتاد في



**غنى الضنية بالينابيع
حرر «الصيف الثاني» بأقل
ضرر ممكن**



مثل هذه الأيام من كل سنة (قبل أن تمطر منذ يومين)، يقول عنه مظهر الصمد «لم نكن نشهده في السابق. كنا نرى بعض حبات الخوخ «الرجعي» على الأشجار، إلا أن ما يحصل هذه الأيام يعدّ ظاهرة غير طبيعية».

لم تقتصر هذه الظاهرة اللافتة في المنطقة على صنف الخوخ، الذي يعد أحد أنواع الأشجار المثمرة الرئيسية

والمنتشرة بكثرة فيها، بل امتدت جزئياً أو كلياً، إلى أصناف المشمش والدراق والتفاح والإجاص التي يعتاش منها أكثر من 60% من عائلات الضنية تقريباً، حيث بات حديث المواطنين في بلدات جرد المنطقة، وتحديدأ في بلدات السفيرة وقرصينا وبيت القفس ونمرين وقرصونا، كيف أن «أشجار الإجاص قد أصبحت بيضاء ومشكوكة بالزهر من رؤوسها حتى كعابها، في مشهد لم يره الكبير ولا الصغير عندنا»، على حد تعبير علي زين الدين من بلدة قرصينا، الذي كان لا يتوقف عن ترداد عبارات: «هذا غضب من الله»، و«الله ينخبينا من الأعظم».

قلق أهالي الضنية من هذه الظاهرة يفسّره رئيس مصلحة الزراعة في الشمال معن جمال، من الناحية العلمية، بإشارته إلى أنها «تعود إلى سببين: الأول عطش هذه الأشجار والبساتين للمياه أخيراً. والثاني، ارتفاع درجات الحرارة في الفترة ذاتها، ما جعل براعم الأشجار تبرز وتزهر وتثمر».

فبرغم أن الضنية كانت تشهد في السابق، كما باقي المناطق اللبنانية، «صيفاً ثانياً» بين شهري تشرين الأول والثاني، إلا أن كونها تعدّ منطقة غنية جداً بمياه الينابيع والأنهار، جعل «الصيف الثاني» هذا يمر بأقل ضرر ممكن، لكن ظاهرة الاحتباس الحراري، وفق جمال، «تتحمل مسؤولية ما يحصل اليوم».

هذا الأمر كان قد دفع جمال إلى التخوف من أن عدم «تساقط الأمطار في الأيام القليلة المقبلة، وأن تترافق مع موجات برد وصقيع، سيقتل براعم الأشجار في الربيع المقبل»، لكنها، الحمد لله، أمطرت.. وتبدّد الخوف.

تقرير

الصرف الصحي غير صحي في نبع يحفوفاً

تعود مشكلة تلوث مياه نبع يحفوفاً، الذي يغذي 6 بلدات تقع شرق – شمال مدينة زحلة، الى أوائل تسعينيات القرن الماضي، وما زالت تتفاقم. ووفقاً لمتابعين بلديين، مياه النبع ملوثة تماماً، مشروع الناصرية متوقف، ومؤسسة مياه البقاع في الغيبوبة. أما فقراء علي النهري، فيغولون النار الملوثة، ويشربونها

علي النهري - نقولا ابورجيلي

الوضع لا يطاق في علي النهري. أهالي البلدة الزحلاوية يعانون وضعاً مأسوياً، بعدما تفاقمّت أزمة مياه الشرب في البلدة. واليوم، على ذمة رئيس البلدية، أحمد المذبح، يعاني 40 ألف مواطن من انعدام هذه المياه، جازماً أن الأخيرة ملوثة «بنسبة 200%». المشكلة مزمنة إذأ، ومياه نبع يحفوفاً، التي كان يشربها الأهالي، بات استهلاكها محصوراً بالاستعمال المنزلي، رغم تلوثها. أما المصدر الرئيس للتلوث، وفقاً للمذبح، فهو «تسرّب المياه الآسنة إلى هذا النبع من شبكة الصرف الصحي التابعة لبلدة سرغايا السورية، التي تقع على تخوم سلسلة الجبال الشرقية التي تفصل لبنان عن سوريا». يعود المذبح بذاكرته إلى عام 1992.

فخلال تلك السنة «شهدت بلدة علي النهري والقرى المحيطة كارثة صحيّة بعدما اكتظت مستشفيات منطقة البقاع بمئات المصابين بمرضى التيفوئيد والسالمونيلا». كانت الفحوصات المخبريّة قد أثبتت آنذاك، أن مياه النبع تحتوي على مختلف أنواع الجراثيم. يدقق قليلاً في ذاكرته، فلا يخطر في باله أي حضور رسمي يذكر، سوى «إنشاء ما يشبه محطة تكرير، وتحويل مياه الخط الرئيسي إلى هذه المحطة بهدف تخفيف التلوّث». استنسبت الدولة حينها تعقيم المياه بكميات من الكلور. وحتى هذا الحل «البدائي» لم يستمر سوى بضعة أشهر، لتعود الأمور الى ما كانت عليه في السابق. وفي عام 1999 عادت البلدية وأرسلت عينّة من هذه المياه الى المختبرات، ليتبيّن مجدداً، «أن نسبة التلوّث قد ارتفعت عمّا كانت عليه». إلى جانب مشكلة التلوّث، الكارثية طبعاً، ينبّه المذبح إلى وجود عقبات أخرى، تحول اليوم دون تأمين المياه: الأعطال متكررة في الشبكة. القسطل الرئيسي الممتد على طول نحو 20 كيلومتراً من موقع النبع في أعالي بلدة يحفوفاً وصولاً الى ثكنة الجيش اللبناني في سهل أبلح مهترى، وقد مدّ هذا الخط منذ 80 عاماً، أي «أيام الفرنسيين». كذلك يشكو المذبح تعديات مستمرة على الشبكة، وخصوصاً في الصيف من «أصحاب البساتين والمقاهي والمتنزّهات وأحواض تربية الأسماك الذين ينقبون القساطل لاستخراج المياه بغزارة إلى أراضيهم ومؤسساتهم». المحصلة: لا مياه في علي النهري. ويوضح قاسم المكحل، أحد أبناء البلدة، أن نسبة قليلة من أبناء الطبقة الفقيرة

يطمنن معظم سكان هذه الأحياء، فهم ما زالو يشترّون المياه المعدنيّة تجنباً لتكرار تجربة الكارثة الصحيّة التي حدثت قبل نحو 20 عاماً.

أمام هذا الواقع، طالب المذبح برفع خطر التلوّث، من خلال إقامة حائط بفصل المياه الآسنة عن موقع نبع يحفوفاً، وتغيير خط الجرّ الرئيسي، وطبعاً، حماية الشبكة من التعديات. ويتذكر حدثاً مهماً: مشروع الهيئة العليا للإغاثة نهاية عام 1999 في سهل بلدة الناصرية المجاورة، الذي كلف مليار ليرة لبنانيّة، وشمل آنذاك، حفر بئر ارتوازيّة، تجهيز كل معدّاتها وتشغيلها بواسطة محطة للكهرباء، إنشاء خزان للمياه. لكن المشروع توقف نتيجة عطل طرأ على

مضخة استخراج المياه عند تشغيلها. المشروع متوقف والناس يشربون المياه الآسنة. ويذكر المذبح تفصيلاً آخر: «سرقّة جميع معدّات المشروع». وبقى المذبح البحصّة، فانتقد مؤسسة مياه البقاع: «من خلال التجربة، تبين أن هذه المؤسسة أقاتل نفسها من مسؤولياتها في إدارة المياه وحل مشاكلها على صعيد المنطقة كلها، وما زالت اللامبالاة تتحكم بعقول القيّمين عليها». واستفاض شارحاً: «على الرغم من مرور شهرين على تعهّدنا أمام مدير هذه المؤسسة، مارون مسلم، تقديم جميع التسهيلات المطلوبة لتنظيم عمليّة الجباية وإيصال المياه الى المنازل، لم نلمس أية بوادر لمعالجة المشكلة حتى الآن».



الميسورون حفروا آباراً ارتوازيّة فيما الفقراء يشربون المياه الآسنة (الأخبار)